

الرئيس الأرمني عالم رياضيات يتصدى لمعادلات معقدة

أرمين سركسيان

هل سيدفع ثمن دهاء ستالين أم سيمزق خرائطه؟



أعلنوا أن أذربيجان شنت هجوماً على ناغورني قره باغ، في حين أعلنت وزارة الدفاع الأذربية أنها شنت هجوماً مضاداً عبر خط المواجهة، لوضع حد للأنشطة المسلحة الأرمينية بحسب تعبيرها، ويقول الأذربيون «إن الجيش الأذري يقاتل أراضيه،

الأذرية بمثابة جيب ممتد في الجزء الغربي من تلك الجمهورية، وعلى بعد نحو 270 كيلومتراً من عاصمتها باكو. وتقدر مساحة هذا الإقليم بنحو 15 بالمئة من مساحة أذربيجان، وقدره أنه يتموضع وسط أربع قوى تتصارع في الإقليم وهي إيران من الجنوب وروسيا وجورجيا من الشمال وتركيا من الجنوب الغربي، إلى جانب تنافس جميع الدول الكبرى على الفوز بتلك الكعكة أو على الأقل احتواؤها، فأميركا تنافس روسيا، وإيران تنافس تركيا، بالإضافة إلى اللاعبين الأساسيين الأرمن والأذربيين.

ويعتبر الإقليم بنكاً غائراً في جوف الأرض، كالبتترول والغاز ومناجم الذهب، ولاسهمة عدة شروحات حسب ثقافة كل دولة، فناغورني تعني باللغة الروسية المرتفعات الجبلية، وقره باغ تعني باللغة التركية الحديقة السوداء. والأرمن الذين يعيشون في الإقليم يطلقون عليها اسم «أرتساخ»، وتعني باللغة الأرمينية غابة أو كرمة الإله «أرا»، أما الأذربيون فيعرفونه باسم «يوخاري قره باغ»، أي الحدائق العالية.

صراع هويات ومصالح

استيبان كيرت عاصمة الإقليم مدينة ترتفع على قمة جبلية، وقد أنشئت بعد الثورة البلشفية في أكتوبر 1917، على موقع قرية خان كندي، واستبدل اسمها إلى «إستيبان كيرت» تيمناً بالزعيم الشيوعي البلشفي استيبان شاهوميان الذي يتوسط تمثاله ميداناً رئيسياً في المدينة ويحمل اسمه، وطبقاً لإحصاء أجرتة السلطات الأرمينية فقد بلغ عدد سكان الإقليم ما يفوق 148 ألف نسمة، وتشير تقديرات إلى أن نسبة الأرمن من السكان تمثل 95 في المئة والباقي من أعراق أخرى تعيش مختلطة مع بعضها البعض.

وقد أدى الصراع حول ناغورني قره باغ إلى توترات إقليمية تمتد إلى أكثر من 40 عاماً، حتى ما قبل انهيار الاتحاد السوفييتي بأكبر من أربع سنوات، حيث اعتمدت أذربيجان ولا تزال على دعم تركيا التي يرى رئيسها رجب طيب أردوغان في أرمينيا تهديداً لاستقرار القوقاز. أما أرمينيا فهي أضعف وأقرب إلى روسيا التي لها فيها قاعدة عسكرية، وتضمها معها في تحالف عسكري تقوده موسكو التي تزود الأسلحة للطرفين، إلا أن الكرملين نجح منذ عقود في كبح إمكانية قيام حرب مفتوحة.

يلقى اللوم على الآخر في تصعيد التوتر، الأرمن

قد يكون ما عناه سركسيان في اتجاه آخر، إلا أن الرياح عاكست سير سفينته وأبحرت في اتجاهات لم يكن يتمنى رجل الأعمال أن تبخر فيها، وهو القادم على أمل أن يجعل أرمينيا، بنخبها وشعبها، تتخبر به كونه يدرك بعملية حسابية بسيطة ما يمكن أن تجلبه الحرب من خسارة لم يعتد عليها في عمله قبل أن ينتقل إلى ضفة العمل السياسي. وهل كان ستالين هو الآخر على دراية بأن خطوته هذه ستقود إلى صراع سستظل ناره راكدة تحت الرماد لحين أن يأتي بين الحين والآخر من ينكش فيه، ويضع الحطب مجدداً ليؤجج هذه النار التي وإن كان قد وجد من يخمدها ولكن، لم يوجد حتى اللحظة من يطفئها ويزيل رمادها إلى أبد الأبد، وما يشهده هذا الإقليم من معارك، منذ أيام شغلت العالم من أقصاه إلى أقصاه خير دليل.

عالم ورئيس ورجل أعمال

الأعباء التي أقيمت على كاهل سركسيان تبرز صعوبة أن تقتصر أكثر من شخصية خلال مسار حياتك، وتحمل نفسك عبء خياراتك الصعبة وتبعاتها، وبذلك تحير ويحترق بك متابعك، لاسيما وأن تلك المسيرة شهدت نقلات نوعية من اتجاه إلى آخر مغاير أو قفزات من ضفة إلى أخرى، فتقودك الإقذار إلى حيث لا تشاء، وهذا ما حصل ويحصل في العقود الأخيرة، إذ درجت العادة أن يقتحم علماء الطب والهندسة والفيزياء وأمثالهم معترك السياسة والخوض في مساربها وتعقيداتها والأعباء، والأكاديمي سركسيان المخصص بالفيزياء والرياضيات والمولود في بريغان العام 1953 مثال على ذلك وهو المواطن لثلاث دول هي الاتحاد السوفييتي بحكم ولادته في فترة كانت فيه بلاده تعد من ضمن جمهوريات الاتحاد، ومن ثم أرمينيا التي انفصلت عنه، وأيضاً الولايات المتحدة الأمريكية التي هاجر إليها وعمل فيها وعاد بعدها إلى موطنه الأصلي.

انتقل سركسيان من مقعد الأستاذ الجامعي ليصبح بعدها من كبار رجال الأعمال حتى خلفته السياسة ودخل معترك العمل الدبلوماسي من أوسع أبوابه، ليتولى رئاسة مجلس وزراء أرمينيا خلال الفترة أواسط تسعينيات القرن العشرين، ولينتخب رئيساً لأرمينيا في مارس العام 2018، وهي الرئاسة الرمزية إلى حد كبير وفقاً للدستور الذي عدل مؤخراً لتصبح السلطات الأوسع بأيدي رئيس الوزراء والبرلمان. لكن الحرب والخطر الخارجي يجعلان من الجميع في البلاد في حالة تاهب.

نقطة ملتزمة

يقع إقليم ناغورني قره باغ في منطقة غاية في الأهمية، أولاً بحكم موقعه الاستراتيجي وقربه من بحر قزوين، وثانياً لكونه في عمق الخاضرة

غياث كنعو
كاتب وصحافي سوري

أحدث تصريحات الرئيس الأرمني تظهر درجة الحرارة التي بلغتتها الاشتباكات في إقليم ناغورني قره باغ المتنازع عليه ما بين أذربيجان وأرمينيا. فقد قال أرمين سركسيان موجهاً رسالة عابرة للسياسة نحو عالم أكثر تعقيداً تتخلله الأديان والحروب والمجازر والذكريات والاتهامات المتبادلة ونفيها «لن نسمح للأتراك بارتكاب إبادة جديدة بحقنا». وأضاف في كلمة وجهها إلى مؤتمر مشترك مع الناتو، عقد هذا الأسبوع إن «لكل أرميني يعيش في جميع أنحاء العالم هذا نوع من عودة للشبح». شبح الإمبراطورية العثمانية. إن أرمينيا تواجه تهديداً إلكترونياً يومياً ليس فقط من أذربيجان ولكن أيضاً من تركيا، التي تدعمها بشكل كامل من خلال هجمات طائراتها الإلكترونية دون طيار».

قرار الزعيم السوفييتي الأسبق

جوزيف ستالين عام 1923

بضم إقليم ناغورني قره باغ الذي

يقع جغرافياً في أذربيجان إلى

جمهورية أرمينيا، وضم منطقة

ناختشيفان التي تقع جغرافياً

في أرمينيا إلى أذربيجان، قرار

يدفع البلدان ثمنه اليوم ضمن

لعبة تقاطعات المصالح المحلية

والدولية

نعد إلى السوء قليلاً. حين قال سركسيان في حفل مئوية أرمينيا «إن رسالتنا اليوم واضحة، يجب أن نربح. لا يمكننا فقط بناء أرمينيا جديدة، ولكن أيضاً أرمينيا نفتخر بها جميعاً ونجعلنا نفتخر بكوننا أرمينياً». فهل أدرك الرجل حجم تحقيق ذلك في هذه الأيام وصعوبته؟ لم يفصح عما قصده بقوله يجب أن نربح، وهي المفردة حمالة الأوجه، بالتنمية أم ببناء المجتمع أم بالحرب؟ السؤال الذي يفرض نفسه على سركسيان قبل غيره؛ هل ما قاله في تلك الاحتفالية كان وفق حسابات عالم الفيزياء والرياضيات مقدمة لما يحدث اليوم في ذلك الإقليم الذي رأى البعض في صناعته أو خلقه دهاء من الزعيم السوفييتي الأسبق جوزيف ستالين؟

قرر ستالين عام 1923 ضم إقليم ناغورني قره باغ الذي يقع جغرافياً في أذربيجان إلى جمهورية أرمينيا، وضم ناختشيفان التي تقع جغرافياً في أرمينيا إلى أذربيجان، وهو ما يدفع البلدان ثمنه اليوم ضمن لعبة تقاطعات المصالح المحلية والدولية.

وحدة أراضيهم. بدورها دعت موسكو إلى وقف إطلاق النار وإجراء محادثات. وبدأ العالم بالتدخل المتتالي في أزمة الإقليم المستجدة، وطالب مجلس الأمن في بيان بإجماع أعضائه بوقف فوري للمعارك، وقال أعضاء المجلس في البيان إنهم يعبرون عن «دعوتهم لدعوة الأمين العام الجانين لوقف القتال على الفور، وتهدة التوترات والعودة دون تأخير إلى مفاوضات بناءة».

وأطل الأميركيون من وسط انشغالهم بالانتخابات الرئاسية المستعرة ليطالبوا على لسان وزير الخارجية مايك بومبيو بالتهديده ووقف الأعمال العدائية.

هناك من يرى أن هذا الصراع بين البلدين قد يؤدي إلى تدخل قوى كبرى متنافسة في المنطقة بتركيا وروسيا. وتبقى الأسئلة مفتوحة ومشرفة حول القدر الذي وضع فيه الرئيس الأرمني أرمين سركسيان، في ظل هذا الصراع الذي اندلع مجدداً من دون معرفة نهايته حتى كتابة هذه السطور، فهل سيقتل بخسارة هذا الإقليم في عهده؟ وهو الذي وعد الأرمن بالربح، أم أنه سيذهب إلى صفقة مع اللاعب الدولي ليحمي على الأقل وعده؟ قادم الأيام كفيلاً بالإجابة عن مآلات هذه الشخصية البراغماتية التي ساققتها الإقذار إلى عالم السياسة واختلطتها من عالم «البرنس» قبل أن تختطفها من العالم الأكاديمي.



مدافعا عن سلامته الإقليمية، محملاً العدو ضربات مدمرة. وقال الرئيس الأذري إيهام عليليف «إن قضيتنا محقة وسننتصر» بحسب تعبيره. وفي وقت لاحق أعلنت السلطات الأذرية الأحكام العرفية في البلد، وحظر تجول جزئي في باكو وعدة مدن رئيسية. وفور انتشار أخبار المعارك أعلن رئيس وزراء أرمينيا نيكول باشينيان التبعئة العامة وتطبيق الأحكام العرفية، وقال «لندعم بقوة جيشنا ودولتنا، يعيش الجيش الأرميني المجيد، إن النظام الأذري الاستبدادي أعلن مرة أخرى الحرب على الشعب الأرميني».

وأكد أن باكو وبيريغان على شفير حرب كبرى يمكن أن تترتب عليها عواقب غير متوقعة. وقد عبرت فرنسا عن قلقها العميق من الاشتباكات التي جرت في الإقليم ودعت الأطراف إلى وقف الأعمال العدائية واستئناف الحوار. من جانبه قال رئيس المجلس الأوروبي شارل ميشيل «إن المعلومات حول الأعمال العدائية في الإقليم مصدر مخاوف خطيرة. يجب أن نتوقف الأعمال العسكرية على وجه السرعة لمنع تصاعد العنف، والعودة إلى المفاوضات دون شروط مسبقة».

أما وزير الدفاع التركي فقد أكد أن بلاده ستدعم أذربيجان بكل الوسائل، ودعا أرمينيا إلى وقف العدوان بحسب تعبيره. بعد المعارك العنيفة. وقال خلوصي أكار «سنقدم الأشقاء الأذربيين بكل الوسائل في نضالهم من أجل حماية



جنسيات سركسيان المتخصص بالفيزياء والرياضيات والتي تعود إلى ثلاث دول، تعكس تعقيدات اللحظة التي يعيشها اليوم، من الجنسية السوفييتية بحكم ولادته في فترة كانت فيها بلاده ضمن جمهوريات الاتحاد، ومن ثم الجنسية الأرمينية بعد الانفصال، وأخيراً الجنسية الأميركية التي حصل عليها بعد هجرته



● اسم الإقليم المشتعل مثير للجدل، فناغورني تعني بالروسية المرتفعات الجبلية، وقره باغ تعني بالتركية الحديقة السوداء. أما الأرمن الذين يعيشون في الإقليم فيطلقون عليها اسم «أرتساخ»، وتعني باللغة الأرمينية كرمة الإله «أرا».

● قدر ناغورني قره باغ أنه يتموضع وسط أربع قوى تتصارع في الإقليم؛ إيران من الجنوب وروسيا وجورجيا من الشمال وتركيا من الجنوب الغربي، إلى جانب تنافس الدول الكبرى على الفوز بتلك الكعكة أو احتواؤها.